

(الرضعة الأولى) خطر يهددنا

. ومن سياق القصة يتبين ما للرضاعة من أهمية في التنشئة! ليس للأنبياء فقط؟ وإنما للناس أجمع:
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَ بَيْتِنَ كَمَا مَلَائِكُنَّ لِيَمُنَّ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ﴾. و من جهة ثانية لا يقتصر الأمر في (الرِّضَاعَةَ) على الغذاء المادي فقط. وإنما متلازمتها الرضاعة العقديّة، والفكرية، واللغوية، و﴿در الشاعر الولائي في وصفه هذه الحالة: لا عذب
أمي أنها شربت حب الوصي وغذتنه في اللبن وكان لي والدٌ يهوى أبا حسن فصرت من ذي
وذا أهوى أبا حسن والمراد مما تقدم معرفة التأثير والتأثر حينما ينشأ مثل هذا الشاعر في كنف
والديه في أجواء تربية كلها ولاء، وحب لمحمدٍ و آلِهِ، واعتقاد بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب -عليهم السلام- فمن البيهقي أن يظل هذا الشاعر الولائي متمسكاً بنواجذه على معتقده مهما
اعترضه من تهديد أو ترغيب. وتتفاوت التربية العقديّة وفق أجديات كل مذهب فيما يعتنقه؛ إبتداء من
أيقونة خلفاء رسول الله ﷺ، زد على ذلك كل مذهب فيه تفرّعات وفي التفرّعات تفرّعات .

هذا في الدين الإسلامي، وقس على ذلك تفاوت الاختلافات في المسيحية، واليهودية، إضافة للديانات الغير
سماوية. وكل هذه الاعتقادات حصيلة (الرضعة الأولى) وكل عنده اعتقاد راسخ بمعتقده. فإذا (الرضاعة)
تجذر للرضيع المعتقدات بتعدداتها. ولو كان هذا الرضيع في حضن (بوزية) جزماً سيعتنق (البوزية)
وهكذا؛ كما بالحديث المتواتر: " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ،
فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ". والنتيجة أن التنشئة
منذ(الرضعة الأولى) من الأبوين -بغض النظر عن الإستثناء- كما عبر عن ذلك أبو العلاء المعري: وَيَنْشَأُ
ناشئُ الفتيانِ مِنَّمَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ وَمَا دَانَ الْفِتَى بِحَجَاً؛ ولكن
يُعَلِّمُهُ التَّدِينَ أَقْرَبُوهُ وطفل الفارسي له ولاةٌ بأفعال التمجّس دَرَبُوهُ ثم
بعد أن يكتمل بناء هذا الرضيع الجسدي والعقدي؛ تتكون لديه فناعة أن ما يعتقده حق مطلق متوارث:
﴿بَلِّغُوا إِذَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ أَلْفِ آيَاتٍ آتَاكُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهَا وَتَكْفُرُوا بِهَا وَإِنْ يَسْمَعُوا مِنْكُمْ
مُحَدِّثِينَ﴾. وكما يقال في (الأحساء الخلافة): (زل جبل و لا تزيل طبع)، فربما نستطيع إزالة جبل لكن
استحالة إزالة طبع عليه إنسان. ولهذا من العبثية والفوقية مناقشة الآخرين في معتقدهم غاية
هدمه، ولا يملك الحق أياً كان؛ إكراه الناس على معتقد يفرض عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن
فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمَّ جَمِيعًا﴾ أفأنت تُكذِّرهُ الذِّسَّ حَتَّى يَكْفُرُوا مَوْمِنِينَ
والناس بمعتقدها مقتنعة (وكل بعقله راضٍ). و كل ما سبق من الاختلافات بتعدداتها لا ضرر منها

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ الذَّرَّاسَ أَُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. لكن يكمن الضرر والخطر في التحريض الممنهج؛ ضد هذا الدين، أو المذهب، أو الفرقة أو الفرد بالإفتراء والتضليل والاستهزاء والتشكيك في نزاهته، وذمته،

وضخ الكراهية والبغضاء عبر شبكات التواصل الإجتماعي (الأبواب المضيئة)، والخطب والمحاضرات، بالذات خطب الجمعة التي حرف بعض المشائخ مسارها الإسلامي من تنمية الحب والألفة إلى تناول المؤمنين بالأسم الصريح بهدف التسقيط، من غير اكتراث بالمبادئ الأخلاقية الإسلامية، من قبل مشائخ بأمس الحاجة للتربية. ونعت المراد أذيتهم بألفاظ مقززة يحاسبون عليها: (منافق، مشرك، زنديق، كافر، فاجر، عدو العلماء، عدو الصحابة، مؤذي المراجع، كلب ممطور، و ضال مضل ...). وبعدما يتم تغذية الناس بهذه المفردات البغيضة الشنيعة، يقومون بتأجيحها وجعلها أسلحة فتاكة بيد الجهلة والهمج الرعاع بدثار الدين، من قبل من يفترض منهم نشر الفضيلة، والمحبة. لكن مع الأسف الشديد واقع الحال يظهر هؤلاء أس البلاء في بث الفتن واستنهاض الأحقاد الدفينة، وعلى ذلك كل المستقبلين لهذه التغذية تتكون لديهم ثقافات وقناعات، على ضوءها يتم تعاملهم، وسلوكهم، بأخلاق صلفة سمجة مع (المعنيين) المراد محاربتهم، وإسقاطهم، بتوجيه مباشر ممن يطرحوا أنفسهم أصحاب وصاية و دراية.

بعدها يكون من الصعوبة بمكان أن تتغير هذه القناعات التحريضية، لأن الركيزة على (الرضعة الأولى) التي أُستقبلت أولاً. وهذا هو المقصود من طرحنا بوصفه (خطر يهددنا). وخطر (الرضعة الأولى) يستفحل أيضاً بين الأفراد، متمثلاً بتكوين الصورة الأولى ومبعثها (الفجر في الخصومة) فمتى إبتدأ أحدهم بتشويه سمعة من يريده من باب العداوة والإنتقام، فإن هذا التعدي بالبهتان والإفتراء يُعد (الرضعة الأولى) ومن الصعوبة تغير هذه الصورة، لأن التشويه هدم، وتحسين الصورة بناء، وشتان ما بين الهدم و البناء! مع الأخذ في الاعتبار التبعات المؤلمة المتعلقة بالقييل والقال في العلاقات الاجتماعية والمصاهرة. ومما سبق نستنتج خطورة الموضوع، وعلى ذلك علينا مخافة، وتحري الدقة فيما يقال للناس بالذات خطب الجمعة، والقنوات الفضائية، وكذا شبكات التواصل، سيما فيما له صلة بالرموز الدينية؛ لأنه متى ما أहतزت صورة علماء الدين، تصدعت القدوة؛ إذا كان رب البيت بالدفع ضارباً . . . فشيمة أهل البيت كلهم الرقص و لهذا من الخطأ الفادح، و العمل القبيح تفسيط علماء الدين بالذات إذا صدر هذا التسقيط والتشهير من العلماء أنفسهم، ومتى ما اहतزت صورة أحدهم أثرت سلباً على البقية (الخير يخص و الشر يعم).

وكل الصرعات والإحترايات الاجتماعية والاقنتال كما يحدثنا التاريخ أُثله الكلام من قيل وقال، وأبلغ ما قيل في هذا السياق: أَرَى خَلَالَ الرَّمَادِ وَمَيْضَ نَارٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرَام

فإن النار بالعيدان تذكى وإن الحرب أولها كلام الفكرة : كل الأخطار التي تحيق بالإنسانية نتاج (الرضعة الأولى) بمعنى عندما يبادر من هم في موقع القبولية من علماء، و مثقفين، وإعلاميين بتغذية الناس بالضغائن، والكراهية، ويدعمون ذلك بأدوات السخرية، والتنايز بالألفاظ، والبهتان، والإفتراء، والقذح، والشخصنة. ويصبح المتلقي كالطفل يستقبل (الرضاعة) التحريضية فقط؛ بمن يراد التشهير بهم وإسقاطهم دون وعي أو مناقشة، فقط يسمع وفي طنه أن ما يسمعه الحق المطلق، لثقتة وإنخداعه في (المرضع) بعنوانه الديني أو الثقافي؛ هنا تكمن الخطورة وتهديد المجتمع. والحل يتجلى في حرصنا كل الحرص على (الرضعة الأولى) لأنه كما يقال (من سبق لبق). فنبدأ بزرع القيم والأخلاق والمعتقد الصحيح واحترام من نختلف معهم، نحسن الظن بغيرنا قولاً وعملاً. والأخذ بنهج أمير المؤمنين: "الناس صنفان: أما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق " قبل أن يسبقنا غيرنا في تربية أبنائنا سلبياً؛ ويحولهم بتغذيته المريضة إلى أدوات احتراب، ودمار، وخراب، وتفجيرات وقتل للذئفس الستي حرام اللله إلا بالحق لتحقيق أهداف نرجسية شيطانية. ومسك الختام قول للإمام الصادق عليه السلام- يلخص طرحنا: "بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة". الكافي: 6/47، حديث 5. واستكمالاً للموضوع سيكون مقالنا 235 بعنوان (ملكية المفلسين) خطر يهددنا. اللهم إني أعوذ بك من شر الأشرار، ومن كيد الفجار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاتاً يطرُق بخير يارحمنا.